

## رسالة من صاحب تفسير «الميزان»

### تعريفاً بتفسير الفرقان

من عشرات الرسائل التي وصلتنا تعريفاً بتفسير الفرقان من مختلف رجالات العلم وعباقرة الفضل والتفكير وأصحاب التفسير في شتى أنحاء العالم رسالة صاحب «الميزان» الإمام الأعظم سماحة الحجة السيد محمد حسين الطباطبائي دام ظله الوارف على رؤوس المسلمين، وإليكم ترجمتها الحرفية:

فضيلة شيخنا الشيخ الدكتور محمد الصادقي المحترم دامت إفاضاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

زرنا مجلدين من تفسيركم الشريف (الفرقان) مع كتابكم الكريم، فبعد فراق طويل بيننا بأعوام عدة، وانقطاع أخباركم عنا بزمن بعيد، يسرني أن وصلني نبأ صحتكم وتوفيق سماحتكم، فحمدت ربي، وأرجو منه سبحانه أن يقرنكم دائماً بالعافية والتوفيق، وأن يسدّد خطاكم، ويؤيدكم بالطفاه وعناياته الخاصة.

إن تفسير «الفرقان» الشريف الذي زرته، إنه لكتاب يقرّ عيوننا، وهو سند عزّنا وأصلّ من مفاخرنا - نحن المفسرين - إن شاء الله تعالى تكرر كافة طاقاتك وإمكانياتك وتبذل جميع مساعيك في مواصلة هذا الأسلوب الفريد من التفسير - أعني: تفسير القرآن بالقرآن - فلا تملّ ولا تكسل ولا تفشل في هذا المشروع العظيم، خدمة للمعارف القرآنية، وكشفاً للقناع عن

ذخائر هذا الكتاب المكنون السماوي، وأرجو من الله عزّ اسمه لكم التوفيق وأن يؤيد سماحتكم في هذه السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد حسين الطباطبائي



## المدخل

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً.

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً وهدياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وصلواته التامات الزاكيات على من أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً!.

اللهم صلِّ وسلِّم وزد وبارك على محمد عبدك ورسولك ونبيك ونجيك وصفوتك وصفيك وخير خيرتك نبي الأمة وإمام الرحمة، وعلى آله الطاهرين المعصومين الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً.

رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً.

رب وفقني لتقواك واجعل لي من أمري يسراً وكفر عني سيئاتي وأعظم لي أجراً. واجعل لي مخرجاً و«فرقانا» إنك كنت بنا بصيراً.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكفى بك هادياً ونصيراً.

إن القرآن «نور وبرهان»: ﴿فَدَّ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا

مُيِّنًا ﴿١﴾ . و«بيان»: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ .  
 و«مبين»: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿٣﴾ . ﴿فُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ أَلَعَلَّهُمْ  
 يَتَفَوَّنُونَ﴾ ﴿٤﴾ . وتبيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿٥﴾ .

وهذا النور البرهان - المبين البيان التبيان: قرآن عربي لا عوج له في كونه وكيانه، في بيانه وبرهانه، مفصلاً بليغاً بأعلى القمم لأعلى القيم في تبيانه، وترى النور بحاجة إلى نور، والبرهان يحتاج إلى برهان؟! وهو نور الأنوار ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ﴿٦﴾ ! .

ف«إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفي، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوره ومن عقد به أمره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به، ومعوله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم» ﴿٧﴾ .

ف«إنه هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار» ﴿٨﴾ .

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٤ .

(٢) سورة آل عمران: ١٣٨ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ١ .

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٨ .

(٥) سورة النحل، الآية: ٨٩ .

(٦) سورة النور، الآية: ٣٥ .

(٧) تفسير الإمام الحسن العسكري عن أبيه عن آبائه عن النبي ﷺ .

(٨) أصول الكافي ٢: ٦٠٠ - أبو علي الأشعري عن بعض أصحابه عن الخشاب رفعه قال قال

أبو عبد الله ﷺ: والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى أبي بكر وعمر أبداً ولا إلى بني أمية =

«فإذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفق وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل وليس بالهزل... ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم (تخوم) وعلى نجومه (تخومه) نجوم (تخوم) «لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جالٍ بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلص من نشب فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص»<sup>(١)</sup>.

«نورٌ لا تطفأ مصابيحُه، وسراج لا يخبو توقُّده، وبحر لا يدرك قعره، ومنهاج لا يضل نهجه، وشعاع لا يظلم ضوؤه، وفرقان لا يخمد برهانه، وتبيان لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزٌّ لا تهزم أنصاره، وحق لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يفيضها الوردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريباً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً

= أبدأ ولا في ولد طلحة والزبير أبدأ وذلك أنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطلوا الأحكام وقال رسول الله ﷺ: ..

(١) أصول الكافي ٢: ٥٩٨ علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله ﷺ عن أبيه عن آبائه ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ..

لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حملة، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»<sup>(١)</sup>.

وهو «بيان ما قبلكم من خير، وخير ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. لا تزيغه الأهوية، ولا تلبسه الأفضية، ولا يخلق على الرد، ولا ينقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، هو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿٢﴾﴾»<sup>(٢)</sup> من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد<sup>(٣)</sup>.

إنه «بقية استخلفها عليكم كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه مؤدّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المخدّرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة»<sup>(٤)</sup>.

(١) مما يروى عن علي أمير المؤمنين من غزير كلامه حول القرآن (نهج البلاغة). الخطبة ١٩٣ ص ٢٢ - عبده.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ١، ٢.

(٣) تفسير العياشي بإسناده عن الحارث الأعور قال دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين! إننا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسد به ديننا وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة ولا ندري ما هي - قال: أو قد فعلوها؟ قال: قلت: نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: آتاني جبرئيل فقال يا محمد صلى الله عليه وآله! ستكون في أمتك فتنة - قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه..

(٤) من خطبة الصديقة الطاهرة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حينما غضب حقها.

وقد سئل علي عليه السلام هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء من الوحي؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يعطي عبداً فهماً في كتابه<sup>(١)</sup> تدليلاً على أن القرآن هو الوحي الأصيل، والضابطة بلا بديل، ووحى السنة هامشي ليس يوصل إلا فهماً لوحي القرآن وتفصيلاً.

فلنخضع للقرآن كما لله فإنه خير كلام لله، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ عليه ولم يغش حزناً أو وجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراً مبيناً، فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد إن أتى بالخصلتين الأوليين استأنس روحه وسرّه بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم، بقبول كراماته، وبدائع إشاراته فإذا شرب كأساً من هذا المشرب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً وعلى ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه، وكيف تمتثل حدوده فإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»<sup>(٢)</sup>.

فالأصل في كل شارد ووارد هو القرآن، يُردّ إليه غير الضروري من

(١) عن مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) المصدر السابق نفسه.

الدين، ليعرف به المارد عن الوارد، ويميّز به الغث عن السمين والخائن عن الأمين.

وإذا كان القرآن هو المعوّل والمرجع لسواه، فبأن يكون مرجعاً لنفسه أخرى حيث التمسك بالقرآن في الأمور المشتبهة إصلاح لها، ووصول للرشد فيها، فهو أحق أن يمسك في تفسيره بنفسه: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾<sup>(١)</sup>! فالذين لا يمسكون بالكتاب أو يمسكون في تفسير الكتاب بغير الكتاب هم من المفسدين، حيث المرجع الوحيد في المختلف فيه هو الله، ولا يمثل الحكم فيه إلا كتاب الله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ثم وموقف السنة المحمدية هو موقف الهامش الشارح لكتاب الله، ما ثبت أنها من سنته، ولا يعرف إلا بموافقته لكتاب الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>. - ف«اردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور، والرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة»<sup>(٤)</sup>.

ثم و﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم حملة السنة المحمدية السليمة، كما أمر الله بطاعتهم المطلقة بعده وبعد رسوله: فطاعة أولي الأمر هي طاعة الرسول ﷺ حيث لا يصدر عن إلا عن الرسول، فمثنى الذيل في الآية ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ هو مثلث الصدر فيها ﴿... وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فإنهم لا يحملون إلا سنة الرسول ﷺ.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.



ففي هذا المثلث البارع من الطاعة المطلقة طاعة الله هي القاعدة الرصينة وطاعة الرسول بعدها هي الزاوية الأولى حيث يصدر عن الله، و﴿أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم الزاوية الأخيرة حيث يصدر عن رسول الله، ولا سبيل للتعرف إلى واقع السنة التي ترويتها الرواة إلا موافقتها لكتاب الله و﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مأخذاً ومآلاً.

ف«القرآن يفسر بعضه بعضاً وينطق بعضه على بعض»<sup>(١)</sup> وآيات العرض وأحاديثه المتواترة تفرض على المستفسرين عن أي الذكر الحكيم أن يبدووا بالتدبر في القرآن نفسه كما يجب، ثم عرض الأحاديث المفسرة للقرآن على القرآن فيستفسر الموافق له ويرفض المخالف، لكي يحصل على معاني متلائمة، غير متضاربة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا يعني تفسير القرآن بالقرآن ضرب بعضه ببعض دون رعاية لمناسبات الآيات، وأن تُنشر آياته نثر الدقل دون تأمل في رباطاتها «وقد رأى رسول الله ﷺ قوماً يتدارؤون فقال: «هلك من كان قبلكم، بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»<sup>(٣)</sup>.

وخرج على قوم يتراجعون القرآن وهو مغضب فقال: «بهذا ضلت الأمم باختلافهم على أنبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض»<sup>(٤)</sup>.

فعلى المفسر التدبر التام في أي الذكر الحكيم، متحلاً عما أثبتته هو أو

(١) نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) الدر المنثور - أخرج أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عنه عليه السلام.

(٤) الدر المنثور - أخرج ابن سعد وابن الضريس في فضائله وابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عنه عليه السلام.

أثبتته الطرق العلمية أو العقلية أمّا هي، مستنتقاً كل آية بنظائرها في المغزى، فيستفسر عنها أشباهها ونظائرها، مثبتاً عن الأحاديث الموافقة الملائمة لها. فاختلاف الروايات في تفسير الآيات، واختلاف المفسرين من جرائه، ومن اختلاف أفهامهم وأساليبهم، هذه الاختلافات ترد إلى القرآن نفسه، فلا يصدّق عليه إلا ما يصدقه.

إذاً فمسالك التفسير كلّها هباء وخواء إلا تفسير القرآن بالقرآن، كما وأن الرسول والأئمة من آل الرسول سلكوا هذا المسلك القويم في تفسير آي الذكر الحكيم، وعلى المفسرين أن يتعلموا هذه الطريقة المثلى من هولاء المعلمين المعصومين. رجوعاً إلى أساليبهم السليمة في تمسكهم بالكتاب، تفسيراً للآيات بالآيات، ثم سلوكاً في صراطهم المستقيم على طول الخط ومرّ الزمن.

فالتفسير بين حق وباطل، تفسير بالقرآن وتفسير بالرأي «ومن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» «أخطأ أو أصاب كان مصيره إلى النار» ولا يعني التفسير بالرأي إلا أن تحمل معك رأياً لك أو لغيرك من قوله أو رواية غير ثابتة، ثم تحمّله على آية لا تتحمّله، أو لا توافقه أو تخالفه، وليس الكثير من اختلافات المفسرين في تفسير الآيات إلا لتفرقهم أيادي سباً عن تفسيره بنفسه، أو عدم المؤهلات لمن حاول تفسيره بنفسه، فإن له شروطاً جمّة<sup>(١)</sup>.

(١) روى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في تفسيره بإسناده عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله فختم به الأنبياء فلا نبي بعده وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحلّ فيه حلالاً وحرم فيه حراماً فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعدكم وجعله النبي صلى الله عليه وآله علماً باقياً في أوصيائه فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان وعدلوا عنهم ثم قتلوهم واتبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة حتى عاندوا من أظهر=